أختاه

لا تقنطي من رحمة اللَّه

أبو محمد عصام عبد ربه محمد مشاحيت

دار الصميعي
للنشر و التوزيع

كُلُّ الحُقُوقِ مَحفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

الناشر
دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيسي: الرياض - ش السويدي العام
ص.ب: ٤٩٦٧ الرمز البريدي: ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم: عنيزة، أمام جامع الشيخ (ابن عثيمين) يرحمه الله
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ - تلفاكس: ٣٦٢١٧٢٨

تقديم

قال محمد عيد العباسي في ١٧/ ٣/ ١٤٢١هـ :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد :

فهذه رسالةٌ قيِّمة ومؤثرة وإن كانت مختصرة ويُستحسن توسعتها بالاستشهاد بتوبة بعض التائبين والتائبات وبعض الأحاديث، كحديث: «للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم ..»، ويمكن جعلها عامّة للنساء والرجال .

وجزى الله كاتبها خيراً كثيراً .

محمد عيد العباسي

* * *

مقدمة

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية :١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١ .

فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[1] .

أما بعد :

مما لا ريب فيه أنَّ المرأة هي أساس المجتمع ، ففي صلاحها صلاحٌ للمجتمع كله ، فهي التي تقوم على تربية الأولاد من البنين والبنات ، فإذا كانت هذه المربية متهتكة مستهترة لا تقيم لمبادئ الفضيلة أية قيمة ، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار ، فيؤدي ذلك إلى ضياع الأبناء وانتشار الفساد في المجتمع ، أما إذا كانت مثالاً للعفة والطهر والإيمان فيؤدي ذلك إلى وجود الشاب المسلم التقي الذي يؤمن بربه عز وجل ، فيؤدي ما عليه من واجبات تجاه ربه ثم مجتمعه الذي يعيش فيه ، وكذلك الفتاة المسلمة التقية التي تؤمن بربها عز وجل ثم مجتمعها الذي تعيش فيه ، مما يؤدي إلى صلاح المجتمع ففي صلاحها صلاحٌ للمجتمع .

ومما يُجدر الإشارة إليه أنه في هذه الأيام قد بعدت كثير

---

(١) سورة الأحزاب / ٧٠، ٧١ .

من المسلمات عن دين الله - عز وجل - ، فعمّت البلوى وانتشر الفساد في كثير من بلاد المسلمين مما جعلني أهمس بكلماتي هذه في أُذن كل مسلمة ابتعدت عن دين الله عز وجل قائلاً لها : « لا تقنطي من رحمة الله » .

واعلمي أن الله يغفر الذنوب جميعاً ، فعودي إلى الله وتوبي إليه توبة نصوحاً، فإن الله أمرَ المؤمنين جميعاً بالتوبة ، فقال : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

فهذه رسالة متواضعة سميتها :

أختاه .. لا تقنطي من رحمة الله

لتعلم كل مسلمة ابتعدت عن دين الله عز وجل أن الله يغفر الذنوب جميعاً فلا تقنط من رحمة الله ولتبادر بالتوبة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد عرضتها ـ أي هذه الرسالة ـ على شيخي وأستاذي

---

(١) سورة النور ، الآية : ٣١ .

فضيلة الشيخ/ محمد عيد العباسي حفظه الله ورعاه ، فأشار عليَّ بتوسعتها وذلك بالاستشهاد بتوبة بعض التائبين والتائبات وبعض الأحاديث كحديث : « للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم ... » .. فكان ذلك ، والحمد لله .

فإن كان هناك تقصير أو نسيان في بعض جوانبها فاللهَ أسأل أن يتجاوز عن تقصيري هذا إنه جواد كريم ، وأن ينفع بها المسلمين ويجعلها في ميزان أعمالنا إنه على كل شيء قدير .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

أبومحمد عصام بن عبدربه آل مشاحيت

خطورة المعصية

بادئ ذي بدء اعلمي أختاه أن المعصية خطر جسيم يمتد أثره من الفرد إلى المجتمع ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض ، وإن كان فيهم قومٌ صالحون ، يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته** »[(١)] .

فالذنوب والمعاصي تضرّ ، وضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر ، ولا يوجد في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ، وتصفحي أختي المسلمة كتاب الله عز وجل وتدبري ما حدث للأمم السابقة بسبب الذنوب والآثام .

*** فبسببها خرج آدم وحواء من الجنة :**

قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا

---

(١) صحيح : صحيح الجامع لناصرالدين الألباني رحمه الله (٦٨٠) ، السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٧٢) .

رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1] .

*** وبسببها طُرد إبليس ولُعن وبُدِّل بالجنة ناراً تلظّى :**

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : « وهكذا لما أمر الله له الملائكة بالسجود ، فدخل إبليس في خطابهم وكان قبل المعصية عبداً صالحاً يتعبّد مع الملائكة ، فلما أمر الله بالسجود لآدم فسجد الملائكة طاعة لله إلاّ إبليس أبى واستكبر عدو الله أن يسجد لآدم ـ عليه السلام ـ حسداً منه على ما أعطاه الله من الكرامة وقال : « أنا ناري، وهذا طيني ، وكانت المعصية ابتداء ذنوبه وسببها الكِبْر ، وقد ثبت

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٣٥، ٣٦ .

(٢) البقرة ، الآية : ٣٤ .

في الصحيح : « لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر »[١] .

وقد كان في قلب إبليس من الكِبْر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وكان من الكافرين بسبب امتناعه أي صار من الكافرين... اهـ »[٢] .

* وبسببها أغرق الله أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال :

قال الله عز وجل : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[٣] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « أي من إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم أُغرقوا فأُدخلوا ناراً فلم

---

(١) مسلم (٩١) وغيره .

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ١/ ٤٢ للشيخ نسيب الرفاعي .

(٣) سورة نوح ، الآية : ٢٥ .

يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ، أي لم يكن لهم مجير من عذاب الله ..اهـ »[١] .

* وبسببها سلّط الله الريحَ على قوم عاد حتى ماتوا عن آخرهم، وأرسل الصيحة على قوم ثمود حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم :

قال تعالى : ﴿ ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾[٢] .

* وبسببها أرسل الله على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى :

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ

---

(١) تسير العلي القدير لاختصار ابن تفسير كثير ٤/ ٤٣١ .

(٢) سورة الحاقة ، الآيات : ١-٧ .

إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾[١] .

* ويسببها أغرق الله فرعون وقومه في البحر :

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾[٢] .

هذا هو الغرق الذي حاق بفرعون وقومه ، فكما أنه تقدمهم فسلك بهم في البحر فأضلّهم وأغرقهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ، فبئس الورد المورود[٣] .

* ويسببها خسف الله بقارون وبداره وماله وأهله الأرض:

قال تعالى : ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : ١٨٩ .

(٢) سورة طه ، الآية : ٧٧-٧٨ .

(٣) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير بتصرف ٣/ ١٤٥ .

(٤) سورة القصص ، الآية : ٨١ .

أضرار المعاصي

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : « مَنْ تأمّل عواقب المعاصي رآها قبيحة، ولقد تفكّرت في أقوام أعرفهم يقرون بالزنا وغيره فَأَرَى مِنْ تعثُّرهم في الدنيا مع جلادتهم[١] ما لا يقف عند حدّ ، وكأنهم قد أُلبسُوا ظلمة ، فالقلوب تنفر عنهم ، فإن اتسع لهم شيئ فأكثره من مال الغير ، وإنْ ضاق بهم أمرٌ أخذوا يتسخطون على القدر ، هذا وقد شُغلوا بهذه الأوساخ عن ذكر الآخرة .. » .اهـ[٢] .

وقال رحمه الله تعالى : « ولقد رأيتُ أقواماً من المترفين كانوا يتقلبون في الظلم والمعاصي الباطنة والظاهرة ، فتعبوا من حيث لم يحتسبوا ، فقلعت أصولهم ، ونُقِضَ ما بَنَوا من قواعد أحكموها لذراريهم ، وما كان ذلك إلا أنهم أهملوا

---

(١) الجلادة : الصلابة والقوة .

(٢) صيد الخاطر للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ص١٩٤-١٩٥ . طبعة : دار اليقين ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ.

جانب الحق ـ عز وجل ـ وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر ، فمالت سفينة ظنونهم ، فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم .. »[١] .

فاحذري أختي المسلمة عواقب المعاصي وأضرارها التي منها :

١- مزيلة للنعم ، جالبة للنقم ، مؤدية إلى الهلاك والدمار : لما ثبت عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ! خمسُ خصال إذا ابتُليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط ؛ إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤنة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القطر من السماء ، ولولا

(١) صيد الخاطر : ص٢٠٤ .

البهائم لم يُمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدوًهم من غيرهم ، فأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتُهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسَهم بينهم »(١) .

٢- موجبة للذل والحرمان، جالبة للصدّ عن سبيل الرحمن، تفسد القلوب ، وتورث الهوان ، وتوجب اللعنة من الله ومن رسوله ﷺ ، تزيل النعم ، وتجلب النقم ، وتلقي الرعب والخوف في القلوب ، تُعمي البصيرة وتطبع عليها، وتسقط الكرامة وتوجب القطيعة، وتمحق البركة.. ما لم يتب العبد منها .

قال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ مبيّناً أضرار المعاصي :

رأيتُ الذنوبَ تميت القلوب

وقد يُورثُ الذُّلَّ إدمانُها

---

(١) صحيح : صحيح الجامع (٧٩٧٨) .

وتـــركُ الذنـــوبِ حـــياةُ القلـــوب

وخـــيرٌ لنفســـك عصـــيانُها[١]

٣- ومن أضرارها: حرمان العلم، حرمان الرزق، وحشة القلب ، تعسير الأمور ، وحشة يجدها بينه وبين الناس ، ظلمة في القلب، وهن في القلب والبدن ، حرمان الطاعة ، تمحق البركة ، والمعصية تولد الأخرى ، كثرة المعاصي تجعلها عادة ، سببٌ لهوان العبد على ربه ، تورث الذل ، تذهب الحياء، تفسد العقل فإن للعقل نوراً والمعصية تطفئه، حرمان دعوة الرسول ﷺ، إن تكاثرت طبع على قلب صاحبها وكان من الغافلين ، إنها تزيل النعم وتحلّ النقم ، تضعف في القلب تعظيم الربّ ، تصرف القلب عن استقامته ... اهـ[٢] .

(١) المجموعة الذهبية في الخطب المنبرية ، ناصر الغامدي ، ص٢٨٩، ٢٩٠ بتصرف .

(٢) الداء والدواء ، ابن قيم الجوزية ، ص٤٨-٧٥ بتصرف.

*** أختي المسلمة ..**

بالتفكّر فيما سبق من أضرار المعاصي نلاحظ أن لبعضها أضراراً حسيّة ، ولبعضها أضراراً معنوية ، كما أن بعضها دنيوي ، وبعضها أخروي .

فاحذري ـ أختاه ـ عقوبات المعاصي في الدنيا والآخرة ، وبادري بالتوبة قبل الموت .

* * *

باب التوبة مفتوح

أختاه ..

اعلمي - رحمني الله وإياكِ - أن الإنسان خُلِق ضعيفاً وعجولاً ، وقد قُدِّرت عليه الذنوب وجُبِل على المعاصي[(١)] قال الله - عز وجل - : ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[(٢)] ، وقال الله - عز وجل - : ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[(٣)] .

فالإنسان جُبل على الخطأ ، فقد أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء

---

(١) وليس لأحدٍ أن يحتجَّ بالقدر على المعصية مُدّعياً أنه معذور فيها طالما كتبت عليه ، والمسألةُ فيها كلام طويل لأهل السنة، خلافاً للقدرية المبتدعة ، ليس هذا مجال بسطه ، فاحذري - أختاه - من إغواء الشيطان في ذلك .

(٢) النساء : ٢٨ .

(٣) الإسراء : ١١ .

بقومٍ يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر الله لهم »[1] .

وقد ثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا مدركٌ ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِجْل زناها الخُطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويُصدِّق ذلك الفرجُ ويُكذِّبه »[2] ، فلما عصى آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عَصَتْ ذريتُه ، وجحَد فجحَدتْ ذريّته لما أخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ مسح ظهره ، فسقط من ظهره كلُّ نسمة هو خالقها من ذريّته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم،

---

(١) مسلم : (٢٧٤٩) .

(٢) البخاري : (٦٢١٢) ، مسلم (٢٦٥٧) واللفظ له .

فقال : أي ربِّ، من هؤلاء؟ .

قال : هؤلاء ذريّتُك .

فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : أي ربّ ، من هذا ؟ .

فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريّتك يقال له : داود.

فقال : ربّ ، كم جعلتَ عُمرَه ؟ .

فقال : ستين سنة .

قال : أي ربّ ، زِدْهُ من عمري أربعين سنة .

فلما قُضي عُمُر آدمَ جاءه مَلَكُ الموتِ فقال : أوَ لم يبقَ من عُمري أربعون سنة ؟

قال : أوَ لم تُعطها ابنك آدم ؟

قال : فجَحد آدم ، فجَحدت ذريّته ، ونسيَ آدمُ فنسيت ذريّته ، وخطئ آدمُ فخطئت ذريّته »[1] .

---

(١) الترمذي : (٣٠٧٦ وقال : حديث حسن صحيح ، وشاهده عند ابن حبان : (٢٠٨٢) ، والحاكم (١/ ٦٤) .

قلت : ولم يكن داود ـ عليه السلام ـ يعرف أنه مَلَك الموت .

من أجل ذلك فتح الله أمام بني آدم باب التوبة آناء الليل وأطراف النهار ، وجعل للتوبة باباً مفتوحاً لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها »[١] .

فبابُ التوبة مفتوح دائماً في الليل والنهار ، في الشتاء والصيف ، فليس على الباب حرَسٌ أو حجاب بل هو باب « مفتوحٌ يدخل منه كل من استيقظ ضميره ، وأراد العودة والمآب ، لا يُصدُّ عنه قاصد ، ولا يُغلق في وجه لاجئ ، أيّا كان ، وأيّاً ما ارتكب من الآثام »[٢] .

بشرط أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها وقبل الغرغرة .

---

(١) كتاب الاستغفار لأخينا الشيخ/ مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ (ص٢٠-٢٢) بتصرف .

(٢) الظلال للأستاذ/ سيد قطب (٥/ ٢٥٨٠) .

فالله - عز وجل - يفرح بتوبة التائبين ، فهو - سبحانه وتعالى - يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظمُ فرحٍ يُقَدَّر ، فقد ثبت عنه ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمامان البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال : « لَلّهُ أفرحُ بتوبة العبد من رجلٍ نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتدّ عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله، قال : ارجع إلى مكاني ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده »[١] .

* * *

(١) البخاري (٦٣٠٨) ، ومسلم (٢٧٤٢) .

ما هي التوبة ؟

التوبة تعني : الرجوع من الذنب .

وتاب إلى الله : أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، وتاب الله عليه : وفقه لها ، ورجلٌ توّاب : تائب إلى الله، وأصل تاب : عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه : أي عاد عليه بالمغفرة[١] .

ومعنى التوبة شرعاً : هي العلم بعِظَم الذنب والندم عليه والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال .

فالتوبة ـ أختاه ـ أن تتركي الذنب مع العلم بقبحه ، والندم على فعله ، والعزم على ألاَّ تعودي إليه ، وتؤدي ما ضيعت من الفرائض ؛ إخلاصاً لله ، ورجاءً لثوابه ، وخوفاً من عقابه ، وذلك قبل حشرجة الروح في الصدر (الغرغرة) وقبل طلوع الشمس من مغربها .

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (توب) ١/ ٣١٥ ، دار صادر.

والتوبة واجبة من كل ذنب ، وقد دعا الله ـ عز وجل ـ جميع العباد إلى التوبة ، مع اختلاف معاصيهم وعِظَم جرائمهم في حقّ الله تعالى دعا إليها المنافقين فقال ـ عز وجل ـ : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾[1] .

بل دعا إليها من نسب إلى الله ـ عز وجل ـ الفقر ، الذين قالوا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[2] .

وقالوا : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾[3] .

فقال الله ـ عز وجل ـ بعد أن ذكر حالهم : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾[4] .

---

(١) النساء : ١٤٦ .

(٢) آل عمران : ١٨١ .

(٣) المائدة : ٦٤ .

(٤) المائدة : ٧٤ .

ودعا إليها المشركين كافة فقال ـ عز وجل ـ :﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾(١).

ودعا إليها المسرفين على أنفسهم في المعاصي من أمة النبي ﷺ ومن غيرهم فقال :﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(٢).

كما دعا إليها أهل الإيمان وخيار الخليقة فقال ـ عز وجل ـ للصحابة بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

قال مجاهد : من لم يتب كل صباح ومساء كان من الظالمين ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٤).

---

(١) التوبة : ١١ .

(٢) الزمر : ٥٣ .

(٣) النور : ١١ .

(٤) تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ لأخينا أحمد فريد ١/ ٩٤.

أختاه .. لا تقنطي من رحمة الله

اعلمي أختاه أن القنوط من رحمة الله ـ عز وجل ـ كبيرة من الكبائر، فاحذري القنوط واليأس من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[١] .

وقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] .

وثبت عن النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ـ عز وجل ـ قال : «أذنب عبدٌ ذنباً، فقال : اللهم اغفر لي ذنبي ، فقال - تبارك وتعالى - : أذنب عبدي ذنباً ، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي ربِّ اغفر لي ذنبي،

---

(١) الحجر : ٥٦ .

(٢) يوسف : ٨٧ .

فقال - تبارك وتعالى - : عبدي أذنب ذنباً ، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال - تبارك وتعالى - : أذنب عبدي ذنباً ، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت ، فقد غفرتُ لك »[1] .

وكذلك ثبت عنه ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله وكان يُلقب حماراً ، ، وكان يُضحِك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأُتي به يوماً فأُمر به فجُلد فقال رجلٌ من القوم، اللهم العنْهُ ، ما أكثر ما يُؤتَى به ! فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه ، فوالله ما[2]

---

(١) البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (٢٧٥٨) .

(٢) نقل الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في « ما » هنا أقوالاً ، أقربها ما نقله عن أبي البقاء في إعراب الجمع أنه قال : ما زائدة، أي فوالله علمتُ أنه ، والهمزة على هذا مفتوحة ، قال : ويحتمل أن يكون المفعول محذوفاً ، أي : ما علمت عليه أو فيها سوءاً ، ثم استأنف

علمت أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه »[١] .

وتذكّري ـ أختاه ـ دائماً قول الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[٢] .

فقد فهم الرعيل الأول من هذه الأمة هذه الآيات وغيرها من كتاب الله عز وجل فهماً صحيحاً فضربوا لنا أروع الأمثال في التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل.

فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه : أن

فقال : « إنه يحب الله ورسوله » . انظر كتاب الاستغفار للشيخ مصطفى العدوي ، هامش/ ٤٦ .

(١) البخاري (٦٧٨٠) .

(٢) آل عمران : ١٣٥-١٣٦ .

ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد ظلمت نفسي وزنيتُ ، وإني أريد أن تطهرني. فردَّه ، فلما كان من الغد أتاه ، فقال : يا رسول الله إني قد زنيتُ ، فردَّه الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه ، فقال : « **أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً ؟** » قالوا : ما نعلمه إلاّ وافي العقل ، من صالحينا فيما نرى ، فأتاه الثالثة . فأرسل إليهم أيضاً ، فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله . فلما كان الرابعة حفر له حفرة ، ثم أمر به فرُجِم . قال : فجاءت الغامدية ، فقالت : يا رسول الله ، إني قد زنيتُ فطهّرني ، وإنه ردَّها، فلما كان الغد ، قالت : يا رسول الله ، لِمَ تردّني؟ لعلك أن تردّني كما رددت ماعزاً، فوالله إني لحُبلَى ، قال : « **أما لا ، فاذهبي حتى تلدي** » . قال : فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدتُه . قال : « **اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه** » فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت : هذا يا رسول الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من

المسلمين . ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها .

فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبَّها ، فسمع نبي الله ﷺ سبَّه إياها، فقال: « مهلاً يا خالد ! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له »(١) .

ثم أَمرَ بها فصلّى عليها ، ودُفِنت .

وفي رواية : فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ، رجمتها ثم تصلي عليها !! فقال : « لقد تابت توبة لو قُسِّمت بين سبعين من أهل المدينة وسعتهم ، وهل وجَدَتْ شيئاً أفضل من أن جادَتْ بنفسها لله عز وجل»(٢) .

فتأمّلي ـ أختي المسلمة ـ ما كان من هذه المرأة فهي تعلم

---

(١) رواه مسلم ، والمَكْس : هو أخذ المال عن طريق الغصب كما يفعل قطّاع الطرق .

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٧/ ٣٢٥) .

أن تطهيرها من هذه الكبيرة وهي الزنا الرجم بالحجارة حتى الموت ، إلاّ أنها استشعرت قبح الذنب وضرره العظيم في الآخرة ، فبادرت إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل ، ولم تقنط من رحمة الله عز وجل ، فمهما كان ماضي المسلم فإن باب التوبة أمامه مفتوح ، وعلى كل مسلم أن يفرح بها .

* * *

أختاه .. من يحول بينكِ وبين التوبة ؟

أختي المسلمة اللبيبة .. إياك أن تظني أن أحداً يحول بينك وبين التوبة، فتأمّلي وتدبري قول الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره : « إلاّ من تاب عن هذه المعاصي وغيرها ، بأن أقلع عنها في الحال ، وندم على ما مضى له من فعلها ، وعزم عزماً جازماً ألاّ يعود ، وآمن بالله إيماناً صحيحاً ، يقتضي ترك المعاصي ، وفعل الطاعات ، وَعَمِلَ عملاً صالحاً مما أمر به الشارع ، إذا قصد به وجه الله :

---

(١) الفرقان : ٦٨-٧٠ .

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ أي تتبدل أفعالهم، التي كانت مستعدة لعمل السيئات، تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيماناً، ومعصيتهم طاعة، وتتبدّل نفس السيئات التي عملوها، ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة، وإنابة، وطاعة، تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية ..» اهـ[1].

وأذكّركِ ـ أختاه ـ بما ثبت عن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلِقْ إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أناساً

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله تعالى – (ص٦٣٥)، دار المغني.

يعبدون الله تعالى، فاعبد اللهَ معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاهُ مَلَك الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم مَلَكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم – أي حكماً – فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتها كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة »[١] .

أختاه .. هذا رجلٌ قتل مائة نفس وتاب الله عليه ، فلِمَ اليأس والقنوط من رحمة الله ؟ .

وها أنا الآن وكأني أسمع صرخات صوتكِ قائلة : أُريد أن أتوب .. أريد العودة إلى الله .. فكيف؟ وهل للتوبة شروط؟.

فتصفحي أختاه الصفحات التالية ، فستجدي الإجابة الشافية إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) متفق عليه .

أريد أن أتوب .. فكيف ؟

أختاه .. إنْ أردتِ التوبة إلى الله عز وجل فابدئيها بالندم والعزم على عدم العودة إلى الذنوب مرةً أخرى ؛ خوفاً من الله سبحانه وتعالى ، ثم فعل الحسنات المختلفة والطاعات التي أمركِ الله بها في كتابه القرآن الكريم ، وما أمركِ به رسوله ﷺ في سنته الصحيحة .

واعلمي أن هناك صلاةً تُسمى صلاة التوبة ، فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجلٍ يُذنبُ ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي [ركعتين] ثم يستغفر الله إلا غفَر الله له»[(١)] ثم قرأ هذه الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(٢)] .

(١) رواه أصحاب السنن ، صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢٨٤ .

(٢) آل عمران : ١٣٥ .

وثبت عنه ﷺ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني وجدتُ امرأةً في بستان ففعلتُ بها كل شيء غير أني لم أجامعها ، قبّلتها ولزمتها ، ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئت . فلم يقل الرسول ﷺ شيئاً فذهب الرجل . فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر نفسه ، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره ، ثم قال : « ردُّوه عليّ » فردوه عليه فقرأ عليه : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ فقال معاذ رضي الله عنه - وفي رواية عمر رضي الله عنه - : يا رسول الله ، أَلَهُ أم للناس كافة؟ فقال: «بل للناس كافة»[1].

وثبت عنه ﷺ أنه قال : « إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع[2] ضيقة،

(١) رواه مسلم .

(٢) درع : لباس من حديد يرتديه المقاتل .

ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ، ثم عمل أخرى فانفكت الأخرى حتى يخرج إلى الأرض »[١] .

* * *

(١) صحيح الجامع (٢١٩٢) .

شروط التوبة

ذكر العلماء رحمهم الله شروطاً للتوبة مأخوذة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ ، منها :

١- الإقلاع عن الذنب فوراً وأن يكون ترك الذنب لله لا لشيء آخر ، كمن فقد القدرة على فعله أو على معاودته الذنب مرة أخرى ، كمن تعوّد الكذب فأصيب بمرض أفقده النطق فلا يُسمى تائباً ، وكذلك الزاني إذا أُصيب بمرض أفقده القدرة على الوقاع ، فلابد للتوبة من ندم والإقلاع عن المعصية بل أقول الإقلاع عن تمني المعصية.

٢- الندم على ما فات : لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «الندم توبة»[(١)] .

٣- العزم على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى .

٤- إرجاع حقوق من ظلمهم، أو طلب البراءة منهم: لما

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وهو في صحيح الجامع (٦٨٠٢) .

أخرجه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « من كانت لأخيه مظلمة من عرض أو مال ، فليتحلله اليوم قبل أن يُؤخذ منه يومَ لا دينارَ ولا درهمَ ، فإن كان له عمل صالحٌ أخِذ من سيئات صاحبه ، فجُعلت عليه »[١] .

وقد ذكر بعض أهل العلم تفصيلات أخرى للتوبة نلخصها فيما يلي[٢] :

* أن يترك التائب الذنب لله لا لشيء آخر .

* أن يستشعر التائب قبح الذنب وضرره .

* أن يبادر إلى التوبة فإن تأخير التوبة هو في حد ذاته ذنب يحتاج إلى توبة .

* أن يخشى على توبته من النقص .

* استدراك ما فات من حق الله إن كان ممكناً .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) مستفاد من كتاب (أريد أن أتوب .. ولكن) للشيخ محمد صالح المنجد .

* أن يفارق من أعانه على المعصية .

* إتلاف المحرمات الموجودة عنده .

* أن يختار من الرفقاء الصالحين من يعينه على نفسه ويكون بديلاً عن رفقاء السوء .

* أن تكون التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها .

* * *

أمور تعينكِ على التوبة

أختاه .. بعد أن عملت شروط التوبة فإليكِ بعضاً من الأمور التي تعينكِ على العودة والإنابة إلى الله عز وجل .

١- الإخلاص لله رب العالمين : قال الله عز وجل: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(١)

٢- تذكرة الآخرة : لما ثبت عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يقول : « إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك »(٢) .

٣- المجاهدة : قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٣) .

---

(١) يوسف : ٢٤ .

(٢) البخاري : (٦٤١٦) .

(٣) العنكبوت : ٦٩ .

٤- الدعاء وتعلق القلب بالله : فقد دعا نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] .

وكان من دعاء النبي ﷺ : « رب اغفر وتُب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم »[2] .

٥- التفكر في أهوال يوم القيامة والقبور : هذا اليوم العظيم وصفه ربنا بأوصاف تنخلع لها القلوب ، وتذهل لهولها العقول ، فهو مرة الواقعة ، وهو الحاقة ، وهو الطّامة، وهو القارعة ، وهو الصاخة .

ومع هذا فالناس في غفلة أو في ريب إلا من رحم ربي .

فلو تذكر المسلم ما في ذلك اليوم من أهوال كان ذلك دافعاً وحافزاً له على العمل الصالح في السر والعلانية ،

---

(١) البقرة : ١٢٨ .

(٢) الترمذي (٣٤٤٣) وصححه .

وكذلك توبة صادقة إلى الله عز وجل .

٦- التعرف على أضرار الذنوب والمعاصي والتفكّر فيها : وهذه سبق ذكرها في الصفحات السابقة .

* * *

علامات قبول التوبة[١]

أختـاه .. هـذه بعـض علامات صحة التوبة إلى الله عز وجل :

* أن يكون حال التائب بعد التوبة خيراً مما كان قبلها.

* أن لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢] فهناك يزول خوفه .

* انخلاع قلبه وتقطعه ندماً وخوفاً ، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عُيينة لقوله تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ

---

(١) مستفاد من كتاب البحر الرائق، لأخينا أحمد فريد (ص١٦١، ١٦٢) بتصرف .

(٢) فصلت : ٣٠ .

﴿قُلُوبُهُمْ﴾[(١)] . قال : تقطعها بالتوبة .

* كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا تكون لغير المذنب ، ولا تحصل بجوع ولا برياضة ولا بحب مجرد ، وإنما هي أمرٌ وراء هذا كله ، تكسر القلب بين يدي الرب كسرة عامة قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً ، كحال عبدٍ آبق من سيده فأُخذ فأُحضر بين يديه ولم يجد من ينجيه من سطوته ولم يجد منه بداً ولا عنه غناءً ولا منه مهرباً ، وعلم أن حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه ، وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جناياته ، هذا مع حبه لسيده وشدّة حاجته إليه ، وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده ، وذلـه وعز سيده ، فيجتمع في هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع ما أنفعها للعبد .

* * *

---

(١) التوبة : ١١٠ .

كيف تقين نفسك من الوقوع في المعصية ؟

أختاه .. بعد أن علمت أضرار الذنوب والمعاصي وكذلك خطورة المعصية ، هاكِ بعضاً من الأمور التي تقيكِ من الوقوع في المعصية .

أولاً : تقوى الله عز وجل :

فهي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين ، قال الله تعالى :﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾(١) .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وتقوى الله عز وجل أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخشى عقاب الله .

---

(١) النساء : ١٣١ .

فعليكِ ـ أختي المسلمة ـ بتقوى الله عز وجل تقي نفسكِ الوقوع في معصية الله عز وجل .

ثانياً : الاستغفار :

فقد رغّب النبي ﷺ في الاستغفار فقال : « **من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك** »(١) .

وثبت عنه ﷺ من حديث الأغرِّ المُزَني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنه ليُغَانُ على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة** »(٢) .

فليكن لنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فكان ﷺ يستغفر ربه ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة

---

(١) الترمذي وابن حبان .

(٢) رواه مسلم .

رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[١] .

وتذكّري أختاه حديث رسول الله ﷺ حين قال : « يا معشر النساء ، تصدقّن وأكثرن من الاستغفار ، فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار » قالت امرأة منهن : ما لنا أكثر أهل النار ؟ قال : «تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبٍّ منكن » . قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : «شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي »[٢] .

ثالثاً : ذكر الله عز وجل :

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما أن رسول الله

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه مسلم، وفي رواية البخاري من حديث أبي سعيد الخدري : «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلن : بلى . قال : «فذلك من نقصان دينها » .

ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطّت خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر »[١] .

فالذكر له فضل عظيم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ألاَ أُنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ذكرُ الله تعالى »[٢] .

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإن تقرّب إليّ شبراً ، تقرّبت إليه ذراعاً ، وإنْ تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإنْ أتاني يمشي أتيتُه هرولةً »[٣] .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة .

(٣) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري .

رابعاً : مجالسة الأخوات الصالحات :

فالجليس له تأثير على جليسه سلباً أو إيجاباً بحسب صلاحه وفساده ؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « **إنما مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة** »[١] .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح مسلم : « فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة » .

خامساً : الإكثار من الأعمال الصالحة :

من فرائض ونوافل وصدقة والحج والعمرة والصلاة على النبي ﷺ وغيرها مما أمر به الشرع الحنيف .

---

(١) البخاري ومسلم من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم .

سادساً : التعرف على الأعداء الأخفياء وطريق الخلاص منهم[١]:

بيَّن الله عز وجل لعبده المسلم أن له أعداء تجره إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، إذا انقاد له واتبعها ، فحذره إياها، وبين له طريق الخلاص منها، وهؤلاء الأعداء هم :

أولهم : الشيطان اللعين :

فهو عدو أبينا آدم ، وأُمّنا حواء، الذي أخرجهما من الجنة ، وهو العدو الدائم لذرية آدم إلى نهاية الدنيا ، يعمل جاهداً على إيقاعهم في الكفر بالله حتى يخلّدهم الله معه في النار ـ والعياذ بالله ـ ، ومن عجز عن إيقاعه في الكفر، عمل على إيقاعه في المعاصي التي تعرضه لغضب الله وعذابه .

والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، يوسوس في صدره ، ويزيّن له الشرّ حتى يُوقعه فيه إذا أطاعه .

وطريق الخلاص منه كما بيّنه الله عز وجل هو أن يقول المسلم إذا غضب أو همَّ بارتكاب معصية : « **أعوذ بالله من**

---

(١) نقلاً من كتاب (دين الحق) للأستاذ/ عبدالرحمن بن حماد آل عمر ، ص١٠٥-١٠٧ . بتصرف .

الشيطان الرجيم» ، وأن يعلم أن دافع الشر الذي يحسّ به في نفسه إنما هو من الشيطان ، لكي يوقعه في الهلاك ، ثم يتبرأ منه بعد ذلك قال الله عز وجل :﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١) .

العدو الثاني : الهوى :

ومنه ما قد يشعر به الإنسان من رغبة في رفض الحق ، وردّه إذا جاء به غيره ، ومن رغبة في رفض حكم الله تعالى وردّه ؛ لأنه خلاف ما يريد ، ومن الهوى تقديم العاطفة على الحق والعدل .

وطريق الخلاص من هذا العدو هو أن يستعيذ العبد بالله تعالى من اتباع الهوى ، وأن لا يستجيب لدافع الهوى فلا يتبعه ، بل يقول الحق ويقبله ، ولو كان مرّاً ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .

---

(١) فاطر : ٦ .

العدو الثالث : النفس الأمّارة بالسوء :

ومن أمرها بالسوء ما يشعر به الإنسان في نفسه من رغبة في فعل شهوة محرمة ، كالزنا وشرب الخمر ، والفطر في رمضان بدون عذر مشروع ، ونحو ذلك مما حرم الله .

وطريق الخلاص من هذا العدو هو أن يستعيذ بالله تعالى من شر نفسه ، ومن الشيطان ، ويصبر عن فعل هذه الشهوة المحرمة ، ويكف عنها ابتغاء مرضاة الله ، كما يصبر نفسه عن الأكل أو الشرب الذي يشتهيه ، لكنه يضره لو أكله أو شربه ، ويتذكر أن هذه الشهوة المحرمة سريعة الزوال ، وتعقبها حسرة وطول ندامة .

العدو الرابع : شياطين الإنس :

وهم عصاة بني آدم الذين لعب بهم الشيطان ، وصاروا يفعلون المنكر ويزيّنونه لمن يجالسهم .

وطريق الخلاص من هذا العدو : هو الحذر منه والبعد عنه وعدم مجالسته .

* * *

صور من
حياة التائبين والتائبات

صور من حياة التائبين والتائبات

أختاه .. ما أجمل حياة التائبين وما أحلاها ، وما أروعَ عيش المحبين لله وما أهناه ، فإنه لا أمان ، ولا سعادة، ولا راحة.. إلا في ظل الإيمان بالله والتمسك بشرعه ، فهاهي إحدى التائبات إلى الله سبحانه وتعالى تقول :

« ما أحلى حلاوة الإيمان .. وعلى من تذوقها أن يدل الناس على سبيلها » .

وتقول أيضاً : « لم أكن أحيا قبل أن يهديني الله .. لقد شعرت بالحياة الحقيقية بعد الهداية » ..

وإليك أختي المسلمة بعضاً من حياة التائبين والتائبات إلى الله عز وجل لتزدادي تمسكاً بدينه والتزاماً بشرعه سبحانه وتعالى .

توبة إلى الله على ظهر باخرة

هذه توبة الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى أنقلها لكِ أختاه من رسالة حوت العديد من حياة العائدين إلى الله تعالى من مشاهير وعلماء ودعاة، وغيرهم يروونها بأنفسهم[١] .

فقد نشأ سيد قطب – رحمه الله تعالى – في أسرة متدينة، متوسطة الثراء ، في قرية صغيرة في صعيد مصر ، وقد حرص والداه على تحفيظه القرآن الكريم في صغره ، فما أتمّ العاشرة إلا وقد حفظه كاملاً ..

ولما بلغ التاسعة عشرة عاش فترة من الضياع ، وصفها بنفسه بأنها كانت (فترة إلحاد) حيث قال : « ظللتُ ملحداً أحد عشر عاماً حتى عثرت على الطريق إلى الله ، وعرفت طمأنينة الإيمان » .

وفي سنة ١٩٤٨م غادر سيد القاهرة متوجهاً إلى أمريكا

---

(١) أي العائدون إلى الله يروونها بأنفسهم .

في بعثة لوزارة المعارف آنذاك ، فكانت تلك الرحلة هي بداية الطريق الجديد الذي هداه الله إليه ، ووفقه لسلوكه والسير فيه .

كان سفره على ظهر باخرة عبرت به البحر المتوسط والمحيط الأطلسي .. وهناك على ظهر الباخرة ، جرت له عدة حوادث أثرت في حياته فيما بعد ، وحدّدت له طريقه ، ولذلك ما إن غادر الباخرة في الميناء الأمريكي الذي وصل إليه ، وما إنْ وطئت قدماه أرض أمريكا حتى كان قد عرف طريقه ، وحدّد رسالته، ورسم معالم حياته في الدنيا الجديدة.

يقول سيد – رحمه الله – : « منذ حوالي خمسة عشر عاماً كنا ستة نفر من المتنسبين إلى الإسلام ، على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة ليس فيهم مسلم .. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة ! .

والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما

كان بنا حماسة دينية إزاء مبشّر كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيره معنا ! .

وقد يسّر لنا قائد السفينة ـ وكان إنجليزياً ـ أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها وكلهم نوبيون مسلمون أن يصلي منهم معنا من لا يكون في «الخدمة » وقت الصلاة .

وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً ، إذ كانت هذه هي المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة .

وقد قمتُ بخطبة الجمعة ، وإمامة الصلاة ، والركاب الأجانب معظمهم متحلقون ، يرقبون صلاتنا !

وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح (القداس !!)، فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا .

ولكن سيدة من هذا الحشد ـ عرفنا من بعد أنها يوغسلافية مسيحية[1] هاربة من جحيم (تيتو) وشيوعيته ـ

---

(١) الصحيح أن يُقال : نصرانية .

كانت شديدة التأثر والانفعال ، تفيض عيناها بالدمع ، ولا تتمالك مشاعرها .. جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه ، وما فيها من خشوع ، ونظام روح ...إلخ[1] .

وبعد ذلك كله .. وفي ظلال هذه الحالة الإيمانية ، راح سيد قطب يخاطب نفسه قائلاً : « أأذهب إلى أمريكا وأسير يها سير المبتعثين العاديين ، الذين يكتفون بالأكل والنوم ، أم لابد من التميّز بسمات معينة ؟! .

وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه ، والالتزام بمناهجه في الحياة وسط المعمعان المترف المزود بكل وسائل الشهوة واللذة الحرام ؟ » .

قال : « وأردتُ أن أكون الرجل الثاني المسلم [المسلم الملتزم] ، وأراد الله أن يمتحنني هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة ؟! .

(١) الظلال ٣/ ١٧٨٦ نقلاً من كتاب : العائدون إلى الله .

وكان ابتلاء الله لي بعد دقائق من اختياري طريق الإسلام، إذ ما إن دخلت غرفتي حتى كان باب الغرفة يقرع.. وفتحت .. فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة ، فارعة الطول ، شبه عارية ، وبدأتني بالإنجليزية قائلة : هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عنده هذه الليلة ؟ .

فاعتذرت بأن الغرفة معدة لسرير واحد ، وكذا السرير لشخص واحد .

فقالت : وكثيراً ما يتسع السرير الواحد لاثنين !! .

واضطررتُ أمام وقاحتها ومحاولتها الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة ، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر ، فقد كانت مخمورة .. فقلت : الحمد لله .. هذا أول ابتلاء .. وشعرت باعتزاز ونشوة ؛ إذا انتصرت على نفسي .. وبدأتْ تسير في الطريق الذي رسمتُه لها ... »[1] .

---

(١) انظر : (أمريكا من الدخل بمنظار سيد قطب) للدكتور/ صلاح الخالدي نقلاً من (العائدون إلى الله) .

مهاجرة إلى اللّه (هناء ثروت)(١)

هناء ثروت ممثلة مشهورة ، عاشت في « العفن الفني » فترة من الزمان ، ولكنها عرفت الطريق بعد ذلك فلزمته ، فأصبحت تبكي على ماضيها المؤلم .

تروي قصتها فتقول :

« أنهيتُ أعمالي المنزلية عصر ذاك اليوم ، وبعد أن اطمأننت على أولادي ، وقد بدأوا في استذكار دروسهم، جلست في الصالة ، وهممتُ بمتابعة مجلة إسلامية حبيبة إلى نفسي، ولكن شيئاً ما شدّ انتباهي ، أرهفتُ سمعي لصوت ينبعث من إحدى الغرف ، وبالذات من حجرة ابنتي الكبرى ، الصوت يعلو تارة ويغيب بعيداً تارة أخرى .

---

(١) نقلاً من كتاب (العائدون إلى الله) لأخينا الشيخ/ محمد بن عبدالعزيز المسند ، وقد نقله من مجلة الأمة العدد (٦٢) بعنوان مهاجرة إلى الله .

نهضتُ بتعجل لاستبين الأمر ، ثم عدت إلى مكاني باسمة عندما رأيت صغيرتي ممسكة بيدها مجلداً أنيقاً تدور به الغرفة فرحة ، وهي تلحن ما تقرأ ، لقد أهدتها إدارة المدرسة ديوان (أحمد شوقي) ، لتفوقها في دراستها ، وفي لهجة طفولية مرحة كانت تردد :

خدعوها بقولهم حسناء والغـواني يغرهُنّ الثناءُ

لا أدري لماذا أخذت ابنتي في تكرار هذا البيت ، لعله أعجبها .. وأخذت أردده معها ، وقد انفجرت مدامعي تأثراً وانفعالاً ، أناملي الراعشة تضغط بالمنديل الورقي على الكرات الدمعية المتهطلة كي لا تفسد صفحات اعتدت تدوين خواطري وذكرياتي في ثناياها ، وصوت ابنتي لا يزال يردد بيت شوقي (خدعوها ..) ؟! .

نعم ، لقد مُورست عليَّ عمليات خداع ، نصبتها أكثر من جهة .

تعود جذور المأساة إلى سنوات كنت فيها الطفلة البريئة

لأبوين مسلمين ، كان من المفروض عليهما استشعار المسؤولية تجاه وديعة الله لديهما ـ التي هي أنا ـ بتعهدي بالتربية وحسن التوجيه وسلامة التنشئة ، لأغدو بحق مسلمة كما المطلوب ، ولكن اسأل الله أن يعفو عنهما .

كانا منصرفين ، كل واحد منهما لعمله ، فأبي ـ بطبيعة الحال ـ دائماً خارج البيت في كدح متواصل تاركاً عبء الأسرة لأمي التي كانت بدورها موزعة الاهتمامات ما بين عملها الوظيفي خارج المنزل وداخله ، إلى جانب تلبية احتياجاتها الشخصية والخاصة ، وبالطبع لم أجد الرعاية والاعتناء اللازمين حتى تلقفتني دور الحضانة، ولمَّا أبلغ الثالثة من عمري ، كنت أعيش في قلق وتوتر وخوف من كل شيء ، فانعكس ذلك على تصرفاتي الفوضوية الثائرة في المرحلة الابتدائية في محاولة لجذب الانتباه إلى شخصي المهمل (أسرياً) ، بَيْدَ أن شيئاً ما أخذ يلفت الأنظار إليّ بشكل متزايد .

أجل ، فقد حباني الله جمالاً ، ورشاقة ، وحنجرة غريدة ، جعلت معلمة الموسيقى تلازمني بصفة شبه دائمة، تستعيدني الأدوار الغنائية ـ الراقصة منها والاستعراضية ـ التي أشاهدها في التلفاز ، حتى غدوت أفضل من تقوم بها في الحفلات المدرسية ، ولا أزال أحتفظ في ذاكرتي بأحداث يوم كُرّمتُ فيه لتفوقي في الغناء والرقص والتمثيل على مستوى المدارس الابتدائية في بلدي ، احتضنتني (الأم ليليان) ، مديرة مدرستي ذات الهوية الأجنبية ، وغمرتني بقبلاتها قائلة لزميلة لها : لقد نجحنا في مهمتنا ، إنها ـ وأشارت إليّ ـ من نتاجنا ، وسنعرف كيف نحافظ عليها لتكمل رسالتنا !!(١) .

لقد صوّر لي خيالي الساذج آنذاك أني سأبقى دائماً مع تلك المعلمة وهذه المديرة ، وأسعدني أن أجد بعضاً من

---

(١) وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران:١٠٠) .

حنان افتقدته ، وإن كنت قد لاحظت أن عطفها من نوع غريب ، تكشف لي أبعاده ومراميه بعدئذ ، وأفقت على حقيقة هذا الاهتمام المستورد !

صراحة ، لا أستطيع نكران مدى غبطتي في تلك السنين الفائتة ، وأن أدرج من مرحلة لأخرى ، خاصة أن تبناني أحد مخرجي الأفلام السينمائية كفنانة (!!) دائمة وسط اهتمام إعلامي كبير بي ! كما أخذت أمي تفخر بابنتها الموهوبة (!!) أمام معارفها، وصويحباتها، وتكاد تتقافز سروراً وهي تتملّى صوري على شاشة التلفاز ، جليسها الدائم .

كانت تمتلكني نشوة مسكرة ، وأنا أرفل في الأزياء الفاخرة والجوهرات النفيسة والسيارات الفارهة ، كانت تطربني المقابلات ، والتعليقات الصحفية ، ورؤية صوري الملونة ، وهي تحتل أغلفة المجلات ، وواجهات المحلات ، حتى وصل بي الأمر إلى أن تعاقد معي متعهدو الإعلانات والدعاية ، لاستخدام اسمي ـ اسمي فقط ـ لترويج مستحضراته وبضائعهم.

كانت حياتي بعمومها موضع الإعجاب والتقليد في أوساط المراهقات ، وغير المراهقات على السواء ، وبالمقابل كان تألّقي هذا موطن الحسد والغيرة التي شبّ أوارها في نفوس زميلات المهنة ـ إن صح التعبير ـ وبصورة أكثر عند من وصل بهن قطار العمر إلى محطات الترهل ، والانطفاء ، وقد أخفقت عمليات التجميل في إعادة نضارة شبابهن ، فانصرفن إلى تعاطي المخدرات ، ولم يتبقَ من دنياهن سوى التشبث بهذه الأجواء العطنة ، وقد لُفِظْنَ كبقايا هياكل ميتة في طريقها إلى الزوال .

قد تتساءل صغيرتي : وهل كنت سعيدة حقاً يا أمي ؟

ابنتي الحبيبة لا تدري بأني كنت قطعة من الشقاء والألم ، فقد عرفت وعشت كل ما يحمل قاموس البؤس والمعاناة من معانٍ وأحداث(١) .

---

(١) هذا هو حال أولئك الفنانين والفنانات !! شقاوة وتعاسة وبؤس ومعاناة ، وإن بلغوا ما بلغو من الشهرة والغنى .

إنسانة واحدة عايشت أحزاني ، وترفقت بعذاباتي في رحلة الشقاء (المبهرجة) ، وعلى الرغم من أنها شقيقة والدتي إلا أنها تختلف عنها في كل شيء ، ويكفيها أنها امرأة فاضلة ، وزوجة مؤمنة ، وأم صالحة .

كنت ألجأ إليها بين الحين والآخر ، أتزود من نصائحها وأخضع لتحذيراتها ، وأرتضي وسائلها لتقويم اعوجاجي، وهي تحاول فتح مغاليق قلبي ومسارب روحي بكلماتها القوية ومشاعرها الحانية ، ولكن ـ والحق يقال ـ كان شيطاني يتغلب على الجانب الطيب الضئيل في نفسي لقلة إيماني ، وضعف إرادتي ، وتعلقي بالمظاهر ، وعلى الرغم من هذا لم يكن بالمستطاع إسكات الصوت الفطري الصاهل، المنبعث في صحراء قلبي المغرور .

بات مألوفاً رؤيتي ساهمة واجمة ، وقد أصبحت دمية يلهو بها أصحاب المدارس الفكرية ـ على اختلاف انتماءاتها العقدية ـ لترويج أغراضهم ومراميهم عن طريق أمثالي من المخدوعين والمخدوعات، واستبدالنا بمن هم أكثر إخلاصاً ،

أو إذا شئت (عمالة) ، في هذا الوسط الخطر ، والمسؤول عن الكثير من توجهات الناس الفكرية .

وجدت نفسي شيئاً فشيئاً أسقط في عزلة نفسية قائظة، زاد عليها نفوري من أجواء الوسط الفني –كما يُدعى-!! معرضة عن جلساته ، وسهراته الصاخبة التي يُرتكب فيها الكثير من التفاهات والحماقات باسم الفن أو الزمالة !! .

لم يحدث أن أبطلت التعامل مع عقلي في ساعات خلوتي لنفسي ، وأن أحاول تحديد الجهة المسؤولة عن ضياعي وشقائي ، أهي التربية الأسرية الخاطئة ؟ أم التوجيه المدرسي المنحرف ؟ أم هي جناية وسائل الإعلام ؟ أم كل ذلك معاً ؟! .

لقد توصلت ـ أيامها ـ إلى تصميم وعزم يقتضي تجنيب أولادي مستقبلاً ما ألقاه من تعاسة مهما كان الثمن غالياً ، إذ يكفي المجتمع أني قُدِّمت ضحية على مذبح الإهمال والتآمر والشهوات، أو كما تقول خالتي: على دين الشيطان.

وفجأة .. التقينا على غير ميعاد ..

كان مثلي ، دفعته نزوات الشباب ـ كما علمت بعدئذ ـ إلى هذا الوسط ليصبح نجماً ! وعذراً فهذه اصطلاحاتنا آنذاك ، ومع ذلك كان يفضل تأدية الأدوار الجادة – ولو كانت ثانوية – نافراً من التعامل مع الأدوار النسائية .

ومرة احتفلت الأوساط الفنية والإعلامية بزيارة أحد مشاهير (هوليوود) لها ، واضطررت يومها لتقديم الكثير من المجاملات التي تحتمها مناسبة كهذه ! وانتهزت فرصة تبادل الأدوار وتسللت إلى مكان هادئ لالتقاط أنفاسي ، لمحته جالساً في مكان قريب مني ، شجعني صمته الشارد أن أقتحم عليه عزلته .

سألته بدون مقدمات عن رأيه في المرأة لأعرف كيف أبدأ حديثي معه .

أجابني باقتضاب أن الرجل رجل ، والمرأة امرأة ، ولكل مكانه الخاص ، وفق طبيعته التي خلق عليها .

استرسلت في التحادث معه ، وقد أدهشني وجود إنسان عاقل في هذا الوسط ! .. فهمت من كلامه أنه سيضحي غير آسف بالثراء والشهرة المتحصلين له من التمثيل ، وسيبحث عن عمل شريف نافع ، يستعيد فيه رجولته وكرامته .

لحظتها قفز إلى خاطري سؤال عرفت الحياء الحقيقي وأنا أطرحه عليه .

لم يشأ أن يحرجني يومها ، ولكن مما وعيت من حديثه قوله : « إذا تزوجت فستكون زوجتي أماً وزوجاً بكل معنى الكلمة ، فاهمة مسؤولياتها وواجباتها ، وستكون لنا رسالة نؤديها نحو أولادنا لينشؤوا على الفضيلة والاستقامة، كما أمر الله ، بعيداً عن المزالق والمنعطفات ، وقد عرفت مرارة السقوط وخبرت تعاريج الطريق » .

وقال كلاماً أكثر من ذلك : أيقظ فيّ الصوت الفطري الرائق ، يدعوني إلى معراج طاهر من قحط القاع الزائف إلى نور الحق الخصيب ، وأحسستُ أني أمام رجل يصلح لأن يكون أباً لأولادي ، على خلاف الكثير ممن التقيت ،

ورفضت الاقتران بهم .

ويعد فترة شاء الله وتزوجنا ..

وكالعادة .. كان زواجنا قصة الموسم في أجهزة الإعلام المتعددة .. حيث تعيش دائماً على مثل هذه الأخبار .

ولكن المفاجأة التي أذهلت الجميع كانت بإعلاننا ـ بعد زيارتنا للأراضي المقدسة ـ عن تطليق حياة الفراغ والضياع والسوء، وأني سألتزم بالحجاب، وسائر السلوكيات الإسلامية المطلوبة إلى جانب تكريس اهتمامي لمملكتي الطاهرة بيتي المؤمن لرعاية زوجي وأولادي طبقاً لتعاليم الله ورسوله .

أما زوجي فقد أكرمه الله بحسن التفقه في دينه ، وتعليم الناس في المسجد .

أولادي الأحباء لم يعرفوا بعد أن أباهم في عمامته ، وأمهم في جلبابها ، كانا ضالّين فهداهما الله ، وأذاقهما حلاوة التوبة والإيمان .

خالتي المؤمنة ذرفت دموعها فرحة ، وهي ترى ثمرة

اهتمامها بي في الأيام الخوالي ، ولا تزال الآن تحتضنني كما لو كنت صغيرة ، وتسأل الله لي الصبر والثبات أمام حملات التشهير والنكاية التي استهدفت إغاظتي بعرض أفلامي السافرة التي اقترفتها أيام جاهليتي ، علّني أن أعاود الارتكاس في ذاك الحمأ اللاهب .. وقد نجاني الله منه .

ومن المضحك أن أحد المنتجين عرض على زوجي أن أقوم بتمثيل أفلام، وغناء أشعار، يلصقون بها مسمى (دينية)[١] !! .

ولا يعلم هؤلاء المساكين أن إسلامي يربأ بي عن مزاولة ما يخدش كرامتي أو ينافي عقيدتي ..

نعم .. لقد كانت هجرتي لله ، وإلى الله ، وعندما تكبر براعمي المؤمنة ، سيدركون إن شاء الله لِمَ وكيف كنت؟! .

---

(١) من أساليب الشيطان وأعوانه في الإغواء التدرج ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ (النور :٢١).. فالواجب الحذر من ذلك .

وتندفع صغيرتي إلى حجري بعد الاستئذان ، وأراها تضع بين يديَّ الديوان ، تسألني بلهجة الواثق من نفسه أن أتابع ما حَفِظَتْ من قصيد ، وقبل أن أثبت بصري على الصفحة المطلوبة ، اندفعت في تسميعها :

خدعوها بقولهم حسناءُ   والغـواني يغـرهنّ الثناءُ

* * *

توبة فتاة من ضحايا الغزو الفكري[1]

تقول هذه التائبة :

«كنت لا أصلي إلا نادراً ، منهمكة في قراءة ما لا ينفعني، ومطالعة ما لا يفيدني ، منشغلة بسماع ما يغضب الله عز وجل .. غارقة في عالم المعاصي .

كانت بداية الهداية عندما دخلت المطبخ ذات مرة واحترقت يدي، فأخذت أبكي، واستغفرت الله، وأحسست بأنه عقاب لي وتذكير بنار جهنم التي هي أشد حرّاً ، فأخذت أصلي تلك الليلة ، وأستغفر الله ، وداومت على الصلاة ، ولكني لم أكن أخشع في صلاتي ، لأني ما زلت مصرة على ذنوبي السابقة ، فكنت أصلي صلاة جافة بلا روح ، أركع وأسجد دون استشعار لما أقرأه من آيات أو

---

(١) مستفاد من كتاب (العائدون إلى الله) وهذه القصة كتبتها هذه التائبة بنفسها لمؤلف الكتاب .

أقوله من أدعية ، لأن قلبي ممتلئ بالمعاصي، وليس فيه محل لذكر الله أو الخشوع في الصلاة.

كانت إحدى صديقاتي تلح عليَّ دائماً في حضور مجالس الذكر ، ولكني كنت أرفض ، وأتهرب منها .

وذات مرة ألحت عليَّ صديقتي فذهبت معها مرغمة ، وكانت المحاضرة عن الصلاة ، فأحسست أني بحاجة لهذا الموضوع، خاصة حين أخذت المحاضرة تشرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فقالت : إن الصلاة تجعل الإنسان أو المصلي يبتعد عن كل فاحشة وكل منكر ، فهي تنهاه عنه ، وهذه حقيقة أثبتها الله تعالى ، ولكنا نجد أن أغلب المصلين لا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، بل إن أحدهم ليفكر في صلاته ماذا سيفعل بعد قليل ، فصلاته لم تنهه عن المنكر ، وهذا دليل على أن الصلاة ناقصة ، فعليه أن يراجع نفسه ، هل نقص من خشوعها ؟ هل من اطمئنانها ؟ هل استشعر وتدبّر كل ما يقرأ ويقول ؟ إلى آخر ما قالت .

فوقعت كلماتها عليَّ كالماء البارد على الظمأ ، فهذا ما أحسه وأفتقده ، ومن تلك اللحظة ، أخذت أستشعر كل ما أقرأه ، حتى سورة الفاتحة اكتشفت فيها معانٍ لم أكن استشعرها من قبل ، فحمدت الله على أن هداني إلى الصراط المستقيم ، ودعوت لهذه المحاضرة في ظهر الغيب .. واقتديت بها فأصبحت من الدعاة إلى الله ، لعل الله أن ينفع بكلماتي ويفتح بها قلوباً غلفاً ، وآذاناً صماً ، والحمد لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊

الخاتمة

أختاه..

هذه تذكرة .. من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب النصح في الله عز وجل لما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **الدين النصيحة** ». قيل : لمن يا رسول الله؟ قال: « **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[1].

وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)[2].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من دلّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله**»[3].

فاللهَ أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يحفظ نساءنا ونساء المسلمين من كل سوء ومكروه، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصل الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو محمد : عصام بن عبدربه آل مشاحيت

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ / محمد عيد العباسي	٣
مقدمة	٥
خطورة المعصية	٩
أضرار المعاصي	١٤
باب التوبة مفتوح	١٩
ما هي التوبة؟	٢٤
أختاه ... لا تقنطي من رحمة الله	٢٧
أختاه .. من يحول بينك وبين التوبة؟	٣٣
أريد أن أتوب .. فكيف؟	٣٦
شروط التوبة	٣٩
أمور تعينك على التوبة	٤٢
علامة قبول التوبة	٤٥
كيف تقين نفسك من الوقوع في المعصية	٤٧
صور من حياة التائبين والتائبات	٥٧
توبة إلى الله على ظهر باخرة	٥٨
مهاجرة إلى الله (هناء ثروت)	٦٣
توبة فتاة من ضحايا الغزو الفكري	٧٦
الخاتمة	٧٩

* * *